الجامعة المستنصرية المرحلة الثانية/الدراسة الصباحية

 كلية الآداب المادة : علوم الحديث النبوي الشريف

 قسم اللغة العربية الدكتور إسماعيل عباس حسين

المحاضرة الثامنة عشرة

السنة النبوية الشريفة

 السنة في اللغة : إذا رجعنا إلى كتب اللغة لوجدنا أن كلمة (( السُنَّة )) مأخوذة من ((سنّ)). وتأتي ((سنّ)) بمعنى بيّن، يقال: سنّ الأمر بينه، وسنّ الله سنة: بين طريقا قويماً، وكل من ابتدأ أمرا عمل به قوم من بعده فهو الذي سنه (1)، ومصدر ((سن)) السن بفتح السين، والاسم هو السُنَّة، وجمعها سُنن بضم السين، وحكى ابن منظور في لسان العرب جواز فتح السين وكسرها: سَنن وسِنن(3) وتطلق في العرف الإسلامي على(( الطريقة المحمودة المستقيمة ))

 وهي السيرة ؛ حسنة كانت أم سيئة ، فسُنّة كل واحد هي ما اعتاد فعله وأكثر منه ، وحافظ عليه ، سواء كان أمرا محمودا أم مذموما ،ومن هذا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم : ( ( من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ، ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ) ) .

 واختلف أهل العلم في تعريف السنة ، ومرد ذلك الاختلاف إلى اختلاف نظر علماء كل علم من العلوم الشرعية المختلفة إلى السنة ؛ فالمحدث ينظر إلى السنة من جهة يخالف فيها المؤرخ والأصولي والفقيه وغيرهما ،فالسنة عند المحدثين : هي كل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة ، سواء أكانت خَلقية ، أو خُلقية ، أم سيرة ، قبل البعثة كانت أم بعدها ،والسنة عند المؤرخين وكتَّاب السيرة هي تأريخ حياة الرسول من ميلاده الى وفاته.

 والأصوليون نظروا إلى السنة من حيث إن الرسول صلى الله عليه وسلم مشرّع للأمة ؛ ولهذا جاء تعريف السنة عندهم بأنها : كل ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير مما يصح أن يكون دليلا لحكم من أحكام الشرع ،والفقيه يهمه الحكم الشرعي المستنبط من الحديث النبوي الشريف.

 إنّ السنّةَ النبويةَ الشريفةَ هي ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أقوالٍ، وما أُثِرَ عنه من أفعالٍ، وما سُجِّل من إقرارٍ، فهي أقوالٌ وأفعالُ وإقرارُ، وكلّها من السنةِ النبويةِ ، فإذا كان القرآنُ المصدرَ الأولَ للشريعةِ، فالسنةُ هي المصدرُ الثاني لها، والسنةُ هي البيانُ النظريُّ، والتطبيقُ العمليُّ للقرآنِ الكريمِ ، والقرآنُ الكريمُ بمنزلةِ الدستورِ الذي فيه الأصولُ والقواعدُ الإلهيةُ الأساسيةُ، التي لابد منها لتوجيهِ الحياةِ الإسلاميةِ، وهدايةِ البشريةِ للتي هي أقومُ، أمّا السنةُ فهي المنهاجُ النبويُّ الذي يفصِّلُ ما أَجْمَلَ هذا الدستورُ، ويخصِّصُ ما عمّمه، ويقيِّدُ ما أطلَقَه، ويضعُ له الصورَ التطبيقيّةِ من حياةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيرتِه الجامعةِ.

 -1-

 والقرآنُ الكريمُ نفسُه يقرِّر أنّ مهمةَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يبيّنَ ما أنزلَ اللهُ مِن الكتابِ، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [ النحل: الآية 64 ] ولولا السنةُ لما عرفْنا كثيراً من أحكامِ الإسلامِ، من عباداتٍ أو معاملاتٍ، ومَن قرأَ كتبَ الفقهِ الإسلاميِّ بمختلفِ مذاهبِه وجدَ بشكلٍ واضحٍ جداً أنّ معظمَ الأحكامِ مأخوذةٌ من سنةِ النبيّ عليه الصلاةُ والسلامُ، لقد أمرَ القرآنُ بالصلاةِ، ولكنْ لم يبيِّن عددَ الصلواتِ، ولا مواقيتَها، ولا كيفيتَها، ولا أنواعَها، من فرضٍ ونفلٍ، ولكنّ السنةَ المطهرةَ هي التي تولَّت تفصيلَ ذلك.

 وأمرَ القرآنُ بالزَّكاةِ، ولكنْ لم يبيِّن كلَّ أنواعِ المالِ الذي تجب فيه الزكاةُ، ولا النِّصابَ اللازمَ لوجوبِ الزكاةِ، ولا المقدارَ الواجبَ، ولا زمنَ الوجوبِ، ولكنّ السنةَ النبويةَ المطهرةَ هي التي حدَّدتْ ذلك كلّه، وكذلك الصومُ والحجُّ والعمرةُ، وشؤونُ المعاملاتِ كلُّها بيّنتْها السنةُ النبويةُ المطهرةُ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما الركيزتان الأساسيتان لأحكام الدين ، إلا أنه هناك فرق بينهما وهذا الفرق يتمثل في :

 القرآن : مُتعبّد بتلاوته ، أما الحديث : فغير مُتعبد بتلاوته .

القرآن : مُعجز بلفظه ومعناه ،أما الحديث : فليس كذلك فهو فاقد لصفتي الإعجاز والتحدي.

القرآن : لا تجوز روايته أو تلاوته بالمعنى ،أما الحديث القدسي : فتجوز روايته بالمعنى .

القرآن : كلام الله لفظاً ومعنى ،أما الحديث : فمعناه من عند الله ولفظه من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

 والسنة النبوية هي آخر برنامج صحيح لحياة الأنسان فتحه الله على عباده من خلال نبيه المصطفى محمد ، وقد أثنى القرآن في موارد عديدة على أخلاقه وسلوكه ومعاشرته للناس ، فقد وصفه في سورة القلم بالخُلق العظيم بصريح الآية الكريمة :" وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ "(القلم4) وهناك مجموعة من الاعمال المستحبة التي كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يفعلها على الدوام ومن الواجب علينا العمل بها وأيضا التعرف على سيرة حياته وبعض شمائله وجوامع أخلاقه :

 فقد كان لطيف الخَلق لين الجانب ، إذا طلع بوجهه على الناس رأوا جبينه كأنه السراج المتوقد ، بين كتفيه خاتم النبوة ،وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم متواصل الأحزان دائم الفكر ليس له راحة ،طويل السكت ، لا يتكلم في غير حاجة ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث أتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن كفه اليسرى وإذا غضب أعرض وغض طرفه ، جلُّ ضحكه التبسم ، وكان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله ،ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها ، وإذا أنتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، مجلسه مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة ولا ترفع فيه الأصوات ولا تُؤبن فيه الحُرم ، يوقّر الكبير ويرحم الصغير ويحفظ الغريب ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وإذا تكلم أطرق جلساؤه كأنَّ على رؤوسهم الطير فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث ، وكان يبكي في صلاته حتى يبتل مصلاه خشية من الله من غير جرم ، وكان يقول: عليكم بمكارم الأخلاق فإنّ الله بعثني بها وإنّ من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمّن ظلمه.

 -2-